التّذكير بالصّبر للفوز بالنّصر والتغلّب عن اليأس والضَّجَر

2024-01-05

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، يَجْزِي الصَّابِرِينَ فَيُضَاعِفُ لَهُمْ أُجُورَهُمْ، ويُيَسِّرُ لَهُمْ أُمُورَهُمْ، وَيَرفَعُ بِفَضْلِهِ أَقْدَارَهُمْ، وَيَمْحُو بِرَحْمَتِهِ أَوزَارَهُمْ، فسبحانه من إله ((يَنصُرُ مَن يَشَاءُ)) وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ، ولا يُضِيعُ عَمَلَ العَامِلِينَ، مَنْ رَضِيَ بِقَضَائِهِ لَطَفَ اللهُ بِهِ وَكَانَ مَأْجُورًا، وَمَنْ سَخِطَ عَلَى قَضَائِهِ أَمْضَى اللهُ قَضَاءَهُ عَلَيْهِ وَكَانَ مَوزُورًا، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لا يَكشفُ الضُّرَ سِواهْ، ولا يَدْعُو المضطَرُّ إلاَّ إِيَّاهْ، نَعُوذُ مِنْ سَخَطِهِ بِرِضَاهْ، وَنُنْزِلُ فَقرَنا بِغِناهْ، وَنَستغفِرُهُ وَمن يَغفرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله. وَأشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وصفيّه من خلقه وخليله. أَثْبَتُ النَّاسِ قَلْبًا وَأَجْمَلُهُمْ صَبْرًا، وَأَرفَعُهُمْ قَدْرًا وَأَعْظَمُهُمْ أَجْرًا، صَبَرَ عَلَى الحُزْنِ والابتِلاَءِ، وبَيَّنَ لأُمَّتِهِ عِلاَجَ ذَلِكَ والدَّواءَ،

يا أُمّةً لنبيٍّ نُورُهُ سَطعَا * وعَزَّ مِقداره في المجد وارتفَعَا

كم سَدّ فاقةَ محتاجٍ وكم نَفعاً * هذا الذي بالهدى والدِّين قد صَدعَا

صلّوا على المصطفى يا كلَّ مَنْ سَمعَا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمّد. وعلى آله المتشرِّفين بقرابته. وصحابته الباذلين أنفسهم وأموالهم من أجل محبّته. صلاة ترزقنا بها العملَ بشريعتِه. وموافقةَ سُنّتِه. وتجعلنا بها يا مولانا في مثل هذه الأيّام من الواقفين على أعتاب حضرته. المتمتّعين بالنظر إلى جميل طلعته. واجعلنا في الآخرة مِمَّنْ يحظى بشفاعته. ويُكرَم بجواره مع خالص أحبّته. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إذا استحكمت الأزمات وتعقَّدت حبالُها، وترادفت الضوائق وطال ليلُها، وأجلبت الهموم بخَيْلها ورَجْلِها، وتاهَ الدليل في القفار، واستقت البحارُ من الركايا. فعند ذلك؛ الصبر وحده بإذن الله. هو الذي يشعّ للمسلم النورَ

العاصم من التخبّط، والهداية الواقية من القنوط، وتُبنى عليه الأعمال، وتُعلَّق به الآمال، وتُواجه به الأعباء مهما ثقُلت، يظلّ معه المؤمن بعيد النظر، موفور الثقة، دائم التفاؤل، باديَ الثبات، لا يرتاع لغَيْمة تظهر في الأُفُق ولو تبعتها غيوم، فيظلّ مستمسكًا بالعروة الوثقى، ويبقى موقنًا بأنّ بوادر الصفو لا بد آتية، وأنّ من الحكمة ارتقابَها في سكون ويقين، فلا تُذهله المفاجآت؛ وهو يقرأ قول الله تعالى من سورة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)). أيّها المسلمون. إِنَّ النُّفُوسَ يُدَاخِلُهَا الضَّجَرُ، وَتَنْتَابُهَا السَّآمَةُ وَالمَلَلُ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ مُحْتَاجَةً إِلَى التَّذْكِيرِ بِالصَّبْرِ وَعَاقِبَةِ الصَّابِرِينَ؛ حَتَّى لا يَتْرُكَ الصَّابِرُونَ صَبْرَهُمْ، بَلْ يَبْقَوْنَ عَلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَيَتَحَقَّقَ نَصْرُ اللهِ. قال تعالى في سورة البقرة: ((أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)). وَمِنْ تَرْبِيَةِ اللهِ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم دَعْوَتُهُ إِلَى الصَّبْرِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ مِنَ الضَّجَرِ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ مِنْهَاجًا تَسِيرُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَنَحْنُ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الطَّوِيلَةِ مِنَ العُدْوَانِ عَلَى أَهْلِ أَرْضِ الإِسْرَاءِ. بِصُنُوفٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ العَذَابِ وَالإِيذَاءِ. مُحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ الدُّرُوسِ غَايَةَ الحَاجَةِ؛ حَتَّى تَثْبُتَ الأُمَّةُ، وَتَبْقَى مُتَمَاسِكَةً مُتَعَاوِنَةً، يَنْصُرُ بَعْضُهَا بَعْضًا. غَيْرَ مُلْتَفِتِينَ إِلَى إِيذَاءِ المُؤْذِينَ. وَتَخْذِيلِ المُخَذِّلِينَ؛ فَإِنَّ المُخَذِّلِينَ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ القُرْآنُ المُرْجِفِينَ لَنْ يَخْلُوَ مِنْهُمْ زَمَانٌ. وَمَثَلُ المُرْجِفِينَ المُعَوِّقُونَ. الَّذِينَ يَقِفُونَ أَمَامَ عَمَلِ الخَيْرِ وَنَشْرِ الفَضِيلَةِ وَزِرَاعَةِ الإِحْسَانِ، وَيَطْلُبُونَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَفْسِيرًا؛ لِمَ فُعِلَ هَذَا وَلِمَاذَا تُرِكَ هَذَا؟! وَلَوْ صَارَ الإِنْسَانُ سَمَّاعًا لَهُمْ لَمَا عَمِلَ شَيْئًا، وَلَبَقِيَ دَهْرَهُ يُبَيِّنُ لَهُمْ وَيَذْكُرُ الأَسْبَابَ؛ وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللهُ العَمَلَ مَنُوطًا بِرِضَاهُ. لا بِرِضَا النَّاسِ. فَقَالَ جل جلاله في سورة الكهف: ((فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)). وَإِنَّ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي هَذَا الشَّأْنِ: (الحَيَاةُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَشْرَحَ لِلنَّاسِ حُسْنَ نَواياكَ). أيّها المسلمون. إِنَّ أَهْلَ الإِيمَانِ. وَهُمْ يَمُرُّونَ بِالمِحَنِ وَالشَّدَائِدِ. يَحْتَاجُونَ مَعَ تَذْكِيرِهِمْ بِالاسْتِمْرَارِ عَلَى الصَّبْرِ. إِلَى ضَرْبِ المَثَلِ

وَذِكْرِ الْقُدْوَةِ؛ لِيَقْتَدُوا بِهُدَاهُمْ، وَقَدْ قَالَ اللهُ في سورة ص لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ أَمْرِهِ بِالصَّبْرِ: ((اِصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ))). وَهُنَا يَسْأَلُ السَّائِلُ لِمَاذَا أَمَرَ اللهُ أَنْ يَذْكُرَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ؟ لَقَدْ أُوذِيَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلامُ كَمَا أُوذِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيرٌ مِنَ النَّاسِ. وَلا رُكْنٌ يَأْوِي إِلَيْهِ، بَلْ كَانَ جُنْدِيًّا فِي جَيْشِ طَالُوتَ، وَحَسَدَهُ النَّاسُ حَسَدًا شَدِيدًا، فَأَمَرَهُ اللهُ بِالصَّبْرِ فَصَبَرَ؛ فَكَانَتْ عَاقِبَةُ الصَّبْرِ حَسَنَةً. قال تعالى في سورة البقرة: ((وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ)). وَرَزَقَهُ اللهُ التَّأْيِيدَ، وَلَمَّا كَانَتْ حَالُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُشَابِهَةً لِحَالِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ ذَكَّرَ بِهِ؛ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ مَنْ نَصَرَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ سَيَنْصُرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ؛ فَأَعْطَى اللهُ سيّدنا ومولانا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم مَا لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِ مِنْ رُسُلِ اللهِ. عليهم السلام. قال تعالى في سورة الجمعة: ((ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)). أيّها المسلمون. كَانَ حَقِيقًا بِنَا أُمَّةَ الإِسْلامِ أَنْ نَتَوَاصَى بِالصَّبْرِ. وَيُذَكِّرَ بَعْضُنَا بَعْضًا بِأَحْوَالِ الصَّابِرِينَ. وَعَاقِبَةِ صَبْرِهِمُ المَحْمُودَةِ، وَأَنْ نَكُونَ يَدًا لإِخْوَانِنَا فِي أَرْضِ الإِسْرَاءِ وَغَيْرِهَا مِنَ المَوَاطِنِ. الَّتِي يَلْحَقُ فِيهَا المُسْلِمِينَ الأَذَى، فَنُعِينَهُمْ بِالقَوْلِ الحَسَنِ. وَالفِعْلِ الزَّاكِي مِنْ نُصْرَتِهِمْ. بِالمَالِ وَالدُّعَاءِ لَهُمْ. وَإِشْعَارِهِمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا وَحْدَهُمْ، بَلْ مَعَهُمْ إِخْوَانُهُمْ وَأَخَوَاتُهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي هَذِهِ الأَرْضِ. قال صلى الله عليه وسلم: ((وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)). أيّها المسلمون. ولَولاَ الصَّبْرُ مَا أُقِيمَتْ طَاعَةٌ، وَمَا هُجِرَتْ مَعْصِيَةٌ، وَمَا تُحُمِّلَتْ مُصِيبَةٌ، فَطَاعَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَةٍ إِلَى صَبْرٍ دَائِمٍ، يَتَحلَّى بِهِ أُولُو النُّهَى وَالعَزَائِمِ، وَفِي آيَةٍ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ يَذْكُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَلوَانًا مِنَ الابتِلاَءَاتِ. التِي قَلَّ أَنْ يَنْجُوَ مِنْهَا إِنْسَانٌ، ثُمَّ يَزُفُّ البُشْرَى لِمَنْ صَبَرَ عَلَيْهَا، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ))، فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ مِنْ أَلوَانِ الابتِلاَءِ نَقْصَ

الثِّمَارِ، وَفِي الغَالِبِ يَتْبَعُ ذَلِكَ غَلاءٌ فِي الأَسْعَارِ، وَالمُؤمِنُ يَتَلَقَّى هَذَا الابتِلاَءَ بِالصَّبْرِ، فَلاَ يَتألَّمُ وَلاَ يَتَحَسَّرُ، بَلْ يَلْجَأُ إِلَى رَبِّهِ فَيَدْعُوهُ أَنَّ يُيَسِّرَ عَلَيْهِ مَا تَعَسَّرَ، وَفِي الأَثَرِ: ((مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ إِذَا عَسُرَ عَلَيْهِ أَمْرُ مَعِيشَتِهِ أَنْ يَقُولَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيتِهِ: بِسْمِ اللهِ عَلَى نَفْسِي وَمَالِي وَدِينِي، اللَّهُمَّ رَضِّنِي بِقَضَائِكَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا قُدِّرَ، حتَّى لاَ أُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلاَ تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ))، فَبِالصَّبْرِ يَتَحلَّى الإِنْسَانُ بِالقَنَاعَةِ، فَلاَ يَتَطَلَّعُ إِلَى مَا عِنْدَ الآخَرِينَ، رَاضِيًا بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ، وَلَو عَدَّها وَمَا هُوَ بِمُستَطِيعٍ. لَوَجَدَها كَثِيرَةً، فَجَمَعَ بِذَلِكَ بَيْنَ فَضِيلَتَيِ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، يَقُولُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم: ((انظُروا إِلَى مَنْ هُوَ أَسفَلَ مِنْكُمْ، وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلاَّ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ))، وَمِنْ مَجَالاَتِ الصَّبْرِ المُهِمَّةِ: صَبْرُ الدَّائِنِ عَلَى المَدِينِ المُعْسِرِ، خُصُوصًا إِذَا تَسَبَّبَتْ فِي إِعْسَارِهِ ظُرُوفٌ خَارِجَةٌ عَنْ إِرَادَتِهِ، فَقَدْ يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الإِعْسَارِ بِسَبَبِ حَرِيقٍ أَو إِعْصَارٍ أَو غَلاَءٍ لِلأَسْعَارِ؛ فَعَلَى الدَّائِنِ وَحَالُ المَدِينِ هَكَذَا أَنْ يَصْبِرَ عَلَيْهِ لِحِينِ مَيْسَرَةٍ؛ فَبِذَلِكَ يَنَالُ أَجْرَ الصَّابِرِينَ، وَيُمْنَحُ ثَوابَ المُيَسِّرِينَ، وَإِنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ نَالَ كَذَلِكَ أَجْرَ المُتَصَدِّقِينَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى في سورة البقرة: ((وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسُرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)). أيّها المسلمون. فَاتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ، واجعَلُوا الصَّبْرَ لَكُمْ شِعَارًا، وَتَجَمَّلُوا بِهِ سِرًّا وَجِهَارًا، وَلَيْلاً وَنَهَارًا؛ تَنَالُوا مِنَ اللهِ رِفْعَةً وَعِزَّةً، وَمِنْ عِبَادِهِ احتِرَامًا وَوَقارًا. واصبِرُوا صَبْرًا جَمِيلاً؛ تَنَالوا أَجْرًا جَزِيلاً، ((رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْرًا وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ)). اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ، واجْعَلْ مَرَدَّنَا إِلَيْكَ غَيْرَ مُخْزٍ ولا فَاضِحٍ. اللَّهُمَّ كَمَا سَتَرْتَ عُيُوبَنَا فِي الدُّنْيَا فَاسْتُرْنَا يَوْمَ العَرْضِ عَلَيْكَ. اللَّهُمَّ انْصُرْ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ. اللَّهُمَّ انصُرْ إِخْوَانَنَا فِي غزّة وفي فلسطين، اللَّهُمَّ اشْفِ جَرْحَاهُمْ. وارْحَمْ مَوْتَاهُمْ. وَسَدِّدْ رَمْيَهُمْ. وَبَارِكْ فِي جُهُودِهِمْ. اللَّهُمَّ اجْمَعْ كَلِمَتَنَا. وَوَحِّدْ صَفَّنَا. وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا. يَا رَبَّ العَالَمِينَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِوَالِدِينَا. واجْزِهِمْ عَنَّا خَيْرًا، اللَّهُمَّ مَنْ

كَانَ مِنْهُمْ حَيًّا فَبَارِكْ فِي عُمُرِهِ وَعَمَلِهِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مَيِّتًا فَارْحَمْهُ وَاعْفُ عَنْهُ. اللهم إنا نسألك أن تجعلنا ممّن إذا ابتُلي صبر، وإذا أنعمتَ عليه شكر، وإذا أذنب أستغفر، واغفر لنا، وارحمنا. إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم استعملنا في طاعتك، وامنحنا الصبر والثبات على دينك، واجعل لنا من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل عسر يسرًا، ومن كل بلاء عافية. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ